

ألا يكون للشاغب متعلق عما دعا إليه حتى لا يكون دون المعرفة بحقه حجاب وإن رق، وليكون ذلك أخف في المؤونة، وأسهل في المحنة، فلذلك صرف نفسه عن الأمور التي كانوا يتكلفونها ويتنافسون فيها، فلما طال هجرانه لقرض الشعر وروايته، صار لسانه لا ينطلق به، والعادة توأم الطبيعة، فأما في غير ذلك فإنه إذا شاء كان أنطق من كل منطق، وأنسب من كل ناسب، وأقوف من كل قائف.

وكانت آله أوفر وأداته أكمل، إلا أنها كانت مصروفة إلى ما هو أرد.

وبين أن نضيف إليه العجز، وبين أن نضيف إليه العادة الحسنة وامتناع شيء عليه من طول الهجران له فرق.

ومن العجب أن صاحب هذه المقالة لم يره عليه السلام في حال معجزة قط، بل لم يره إلا وهو إن أطال الكلام قصر عنه كل مطيل، وإن قصر القول أتى على غاية كل خطيب وما عدم منه إلا الخط وإقامة الشعر، فكيف ذهب ذلك المذهب والظاهر من أمره عليه السلام خلاف ما توهم؟! (٥).

قال أبو عبد الرحمن: هذا كلام أدباء يجلونه بالإسراف في

(٥) البيان والتبيين ٣٢/٤ - ٣٤.